سقوط العقوبة عن عصاة الموحدين

د. نسيم شحدة ياسين
أستاذ مساعد فى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية – غزة

المعصية وأقسامها وحكمها

- تمهيد :

المطلب الأول : تعريف المعصية وأصولها :

أولاً : تعريف المعصية :

١- التعريف اللغوي :

أصل المعصية من العصيان ، قال تعالى : (**ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**) (آل عمران: ١١٢) .

قال في لسان العرب: "والعصيان خلاف الطاعة، عصى العبد ربه إذا خالف أمره"[٣].

وقال الفيروزأبادي : "العصيان : خلاف الطاعة ، عصاه يعصيه عَصياً ومعصية وعاصاه فهو عاصٍ وعصي" [٤] .

وقال الراغب الأصفهاني : "عصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة ، وأصله أن يتمتع بعصاه ، قال تعالى : (**وَعَصَى آدَمُ رَبَّه**) (طه : ١٢١) ، (**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) (الأحزاب : ٣٦) " [٥] .

٢- التعريف الاصطلاحي :

يمكننا تعريف المعصية اعتماداً على المعنى اللغوي فنقول: "المعصية هي كل ما يفعله الإنسان خلافاً لما أمر الشارع به" .

وقد عرَّفها الجرجاني بأنها : "مخالفة الأمر قصداً" [٦] . إذ إن مخالفة الأمر عن قصدٍ والتمرد عليه وعدم الطاعة يعتبر عصياناً ، وكل من يخالف أمر الله تعالى فهو يعصيه ، وعدم

الطاعة في أمر قصداً هي المعصية ، وتسمى الذنب ، وجمعها ذنوب ، والذنب كل ما يحجب المرء عن الله تعالى [٧] .

أصول المعاصي :

إن حالة الضعف الإيماني لدى الإنسان ، وطاعة هوى النفس والانجرار وراء الشهوات ورفقة السوء ، وحب الذات ، وعدم القدرة على تملك هذه الرغبات ، كلها أسباب تؤدي إلى ارتكاب المعاصي والانغماس فيها كبيرها وصغيرها ، يقول ابن قيم الجوزية في كتاب الفوائد : "أصول المعاصي كلها ، كبارها وصغارها ، ثلاثة : تعلق القلب بغير الله ، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية ، وهي : الشرك ، والظلم ، والفواحش ؛ فغاية التعلق بغير الله شرك ، وأن يُدْعى معه إله آخر ، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل ، وغاية القوة الشهوانية الزنا ، ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله : (**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ**) (الفرقان: ٦٨) ، وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض ، فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش ، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفها عن صاحبها ... وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة ؛ فإن الشرك أظلم الظلم ، كما أن أعدل العدل التوحيد ..." [٨] .

المطلب الثاني : أقسام المعاصي :

يمكن تقسيم المعاصي من حيث متعلقها ومن حيث ذاتها إلى قسمين رئيسيين هما :

أولاً : أقسام المعاصي من حيث متعلقها ، وتنقسم إلى قسمين أيضاً :

١- ما يتعلق بحقوق الآدميين .

٢- ما يتعلق بحق الله تعالى .

فأما الأول فالأمر فيه أغلظ وأشد ، لأن المرء لا يدري هل سيصفح العبد عنه ويسامحه أم لا ، وأما الثاني فهو بين العبد

وربه ، فالعفو فيه أقرب وأرجى ؛ إلا أن يكون شركاً ، فذلك لا يغفر ، قال تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**) (النساء : ٤٨) .

ثانياً : أقسام المعاصي من حيث ذاتها :

وتنقسم إلى صغائر وكبائر :

١ ـ التعريف بالكبائر وعددها :

أ ـ معنى الكبيرة :

ذكر العلماء جملة من التعريفات للكبيرة نذكر منها :

قال الإمام الذهبي : " أنها ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين (٩) " .

وقال أبو حامد الغزالي : "الكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع ، وذلك لأن الكبيرة والصغيرة من المضافات ، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه ... وللإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ، ونعني بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة ، وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم ، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصصه بالذكر في القرآن يدل على عِظمه ثم يكون عظيماً وكبيراً لا محالة بالإضافة ؛ إذ منصوصات القرآن تتفاوت درجاتها ، فهذه الإطلاقات لا حرج فيها" (١٠) .

وقيل : ما اتفقت الشرائع على تحريمه .

وقيل : ما يسد باب المعرفة بالله .

وقيل : إنها ما يترتب عليها حدّ أو توعد عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب (١١) .

والواضح أن جميع الأقوال تعود إلى معنى واحد إذ إن ما يترتب عليه حدٌ أو عذابٌ في النار أو غضبٌ من الله تعالى لا بد

أن يكون قد نهى الله تعالى عن فعله وورد نصٌ في منعه إما في القرآن أو السنة أو اجتمعت عبارات السلف على تحريمه ، كما أن ما اتفقت على تحريمه الشرائع يكون كذلك في تحريمه نصٌ واضح في القرآن أو السنة ، ومن المعلوم أن في المعاصي وارتكابها ما يسد باب المعرفة بالله تعالى - وإن كان ذلك ليس على إطلاقه - لكن الكبيرة تؤدي بصاحبها إلى البعد عن الله تعالى بالجملة ، قال تعالى : (**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**) (المطففين:١٤) وهذا من الأثر الذي يترتب على فعل الكبيرة ، إذ إن للذنوب والمعاصي عواقب جسيمة لا يعلمها إلا الله فكم أهلكت من أمم ماضية ولا تزال تهدم بناء أي أمة تظلم نفسها بالمعاصي والآثام ، ويتحقق فيها سنة الله الجارية ، قال تعالى : (**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**) (هود:١٠٢) ، وقال تعالى : (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**) (الروم: ٤١) .

كما أن كثرة المعاصي والذنوب تنسي العبد ذكر ربه والإنابة إليه ، قال تعالى : (**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) (الحشر:١٩) .

ولذلك يمكننا القول في الكبيرة بأنها :

"كل ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر مما يترتب عليه حدٌ أو توعد عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب" ، وهذا أصح الأقوال وتؤيده الأدلة من الكتاب والسنة .

ب- عدد الكبائر :

اختلف العلماء في تحديد عدد الكبائر إلى أقوال أهمها :

- أنها سبع ، واحتج القائلون بقول النبي ﷺ : "اجتنبوا السبع الموبقات ... فذكر منها : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" [١٢] .

- وقيل : سبعة عشر [١٣] .
- وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع .

ورجح الإمام الذهبي قول ابن عباس وبيَّن المراد بالحديث السابق .

يقول الإمام الذهبي بعد ذكر قول ابن عباس : "وصدق والله ابن عباس ، وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضبٍ أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة ؛ ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض ؛ ألا ترى أنه ﷺ عدَّ الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبداً ..." [١٤] .

إن من دواعي اختلاف العلماء في تحديد عدد الكبائر هو عدم حصر الأحاديث النبوية لعدد الكبائر ، فقد ذكر أنها سبعة كما في الحديث السابق ، وذكر غير ذلك كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : "الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس" [١٥] وأمثاله كثيرة في كتب السنة ، ولعل الشارع قد قصد الإبهام ليكون على الناس وجل من الذنوب ويكون وقعها شديدا على القلوب والله أعلم.

٢ـ التعريف بالذنوب الصغيرة :

اختلفت عبارات العلماء في تعريف الصغيرة إلى أقوال :
فقد ذهب البعض إلى أن : الصغيرة ما دون الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة . وقال آخرون : كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار ، وقيل : الصغيرة ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ، وهذا هو المأثور عن ابن عباس وابن عيينة وابن حنبل،

وهو الراجح لقوله تعالى : (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**) (النساء:٣١) ، فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره ، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفَّرة عنه باجتناب الكبائر ، كما أن هذا القول فيه ضابط بحيث يمكن التفريق به بين الكبائر والصغائر [١٦] .

المطلب الثالث : حكم مرتكبي الكبائر والصغائر عند أهل السنة:

أولاً : حكم مرتكبي الكبائر :

إن أهل السنة والجماعة لا يكفرون المسلم بمطلق المعاصي والكبائر ؛ لأن مرتكب الكبيرة عنده مطلق الإيمان ، فأصل الإيمان عنده موجود ، لكن كماله مفقود ، لذا فهم متفقون على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية ، كما قالت الخوارج ، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة ، لكان مرتدًّا يُقتل على كل حال ولا يُقبل عفو ولي القصاص ، ولا تجرى الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وهذا القول باطل [١٧] .

كما أنهم متفقون أيضاً على أنه لا يخرج من الإيمان ، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين كما قالت المعتزلة ، حيث قولهم باطل أيضاً ، بنص القرآن ، فقد جعل الله تعالى مرتكب الكبيرة من المؤمنين ، قال تعالى : (**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ**) (البقرة: ١٧٨) . فلم يُخرج القاتل من المؤمنين بل جعله أخاً لولي القصاص ، وقال تعالى : (**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**) إلى قوله تعالى : (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**) (الحجرات: ٩-١٠) ، وقد دلت نصوص القرآن والسنة والإجماع على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقتل ، بل يقام عليه الحد ، فهذا يدل على أنه ليس بمرتد [١٨] .

كما اتفق أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب ، كما تؤكد النصوص من الكتاب والسنة، خلافاً لما يقوله المرجئة [١٩] من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهذا القول أيضاً باطل يرده النقل والعقل [٢٠] .

وخلاصة القول في مرتكب الكبيرة : إنه يبقى في دائرة الإسلام مستحقٌ للوعيد ، وهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه حتى ينقيه من الذنوب ، وإن شاء عفا عنه وغفر له وأدخله الجنة.

ثانياً : حكم مرتكبي الصغائر :

تقدم أن الصغيرة عند جمهور العلماء هي : ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا ولا وعيد في الآخرة ، لذلك فإن الصغائر لها ما يكفرها في دين الله تعالى ، فلا تبقى أدرانها ما دام المسلم قد فعل الأسباب التي تمحوها أولاً بأول ، قال تعالى : (**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**)(النساء: ٣١) ، وقد وردت عدة أحاديث تبين أن صغائر الذنوب تكفرها الأعمال الصالحة والمداومة عليها ، وهو ما سنشير إليه – إن شاء الله – لاحقاً [٢١] .

وقد نقل الإمام النووي إجماع أهل السنة على إثبات عذاب بعض العصاة من الموحدين [٢٢] .

ويمكن للصغيرة أن تكبر بعدة أسباب :

١ - الإصرار والمواظبة عليها ، قال بعض العلماء : " لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار " [٢٣] ، وإن العفو عن كبيرة قد انقضت ولم يتبعها مثلها ، أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : "إن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"[٢٤] .

٢ - ومن الأسباب التي تعظم بها الصغائر : استصغار الذنب ، فإن الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى ، وكلما استصغره العبد كبر عند الله تعالى فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له . فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **" من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن "**[(٢٥)] . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : **"إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه . فقال به : هكذا "** [(٢٦)] .

٣ - ومن الأسباب أن يفرح بالصغيرة ويتمدح بها ، كما يقول : أما رأيتني كيف مزقت عرض فلان ، وذكرت مساويه حتى أخجلته ؟! أو يقول التاجر : هل رأيت كيف خدعت فلانا وروجت عليه الزائف ؟! فذلك مما تكبر به الصغائر .

٤ ـ ومنها أن يتهاون بستر الله تعالى وحلمه عنه ، ثم يذكره بمحضر من غيره ، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **" كل أمتي معافى إلا المجاهرين. وإن المجاهرة أن يعمل الرجل العمل بالليل ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستر الله عليه "** [(٢٧)] ، **والمجاهرة :** أن لا يبالي الإنسان بما صنع .

٥ - ومنها أن يكون المذنب عالماً يُقتدى به ، فإذا علم منه الذنب كبر ذنبه ، كلبسه الحرير ، ودخوله على الظلمة مع ترك الإنكار عليهم ، وإطلاقه اللسان في الأعراض وغير ذلك من المعاصي التي يقتدي به الناس فيها، ويؤثر فيهم سلباً ، وفي الحديث : **" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في**

الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " [٢٨] .

● المبحث الأول : تكفير العقوبة وسقوطها في الدنيا :

ذكر العلماء عدداً من الأسباب التي تكفر الذنوب عن العبد المسلم وتُسقط العقوبة عنه وبالنظر في هذه الأسباب يظهر أنها من أعمال العبد وما يجري عليه في الحياة الدنيا ، وهذه الأسباب هي :

١ـ التوبة .
٢ـ الاستغفار .
٣ـ الأعمال الصالحة .
٤ـ الصبر على الابتلاء والمصائب الدنيوية .

المطلب الأول : التوبة :

تعدُّ التوبة من أهم الأسباب المسقطة للعقوبة عن العصاة ، التي تكفّر الذنوب في الدنيا، ولتوضيح ذلك لا بد من تعريف التوبة، وبيان شروطها ، ثم دورها في تكفير الذنوب .

أولاً : تعريف التوبة :

١ـ التعريف اللغوي :

التوبة هي الرجوع ، يقال تاب إلى الله توباً وتوبةً ومتاباً وتَتْوِبَة : رجع عن المعصية وهو تائبٌ وتوّاب ، وتاب الله عليه : وفّقه للتوبة ، أو رجع عليه بفضله وقبوله، وهو توابٌ على عباده، وكذلك التوب ، قال تعالى : (**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**) (غافر: ٣) ، وقيل : التوبُ ، جمع توبة [٢٩] .

٢ـ التعريف الاصطلاحي :

للتوبة عدة تعريفات نذكر منها :

– "هي الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الأفعال الممدوحة" [٣٠] .

- وقال في نزهة المتقين : "هي الرجوع من البعد عن الله تعالى إلى القرب إليه سبحانه " [٣١] .
- وقيل : "الرجوع إلى الله تعالى مِن معصيته إلى طاعته [٣٢] .

وكلها معانٍ متقاربة تدل على التوبة .

ثانياً : شروط التوبة :

ذهب العلماء إلى أن المعصية إن كانت بين العبد وبين الله تعالى ولا تتعلق بحق إنسان فلها ثلاثة شروط [٣٣] :

١- أن يقلع عن المعصية ، بحيث لا يقوم بالتوبة وهو مباشر للمعصية فذلك استهتارٌ منه وقصور .
٢- أن يندم على فعل تلك المعصية ، فذلك أساس للتوبة ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : "الندم توبة" [٣٤] .
٣- العزم على أن لا يعود في المستقبل إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها ، ويكون العزم مؤكداً ومن المعلوم أنه يجب أن يتوج ذلك بالإخلاص لله تعالى بحيث لا يحمله على التوبة مراءاة الناس ، أو نيل الجاه عندهم ، أو ما أشبه ذلك من مقاصد الدنيا.

أما إن كانت المعصية متعلقة بحق آدمي فيضاف إليها شرط رابع ، وهو أن يبرأ من حق صاحبها ؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه ، وإن كان حدّ قذفٍ ونحوه مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبةً استحلّه منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب عند أهل السنة والجماعة ، وبقي عليه الباقي [٣٥] .

ويمكننا أن نضيف شرطاً آخر وهو : أن تكون التوبة في وقت القبول ، حيث ينقطع قبول التوبة لعموم البشر بطلوع الشمس من مغربها ، ولكل إنسان بحضور أجله ، قال تعالى : **(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ**

الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ) (النساء: ١٨) ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها" ثم قرأ الآية [٣٦] .

ثالثاً : وجوب التوبة ودورها في إسقاط العقوبة :

١- وجوب التوبة :

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، وقد انعقد الإجماع على وجوب التوبة ؛ لأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات عن الله تعالى ، فلا بد من الهرب منها على الفور [٣٧] .

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوبها ، وهي على الدوام ؛ فإن الإنسان لا يخلو عن معصية ، ولو خلا عن معصية الجوارح لم يخلُ عن الهمّ بالذنب بالقلب ، ولو خلا عن ذلك لم يخلُ عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر التي تبعده عن ذكر الله تعالى ، ولو خلا عن ذلك لم يخلُ عن غفلةٍ وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص ، فلا يسلم أحد من البشر من هذا النقص ، وإنما يتفاوتون فيه ، ولذلك كان من الواجب التوبة الدائمة والمستمرة ، يقول ابن القيم : "إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرضٌ على الفور ، ولا يجوز تأخيرها ، فمتى أخرها عصى بالتأخير ، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى ، وهي توبة من تأخير التوبة ، ولا يُنجي من هذا إلا توبة عامة ، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم" [٣٨] ، ولهذا قال النبي ﷺ : "**إنه ليغان** [٣٩] **على قلبي ، فأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة**" [٤٠] .

ومن الأدلة على وجوب التوبة ، قوله تعالى : (**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) (النور: ٣١) ، وقال تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**) (التحريم : ٨) ، فقد أمر الله تعالى بالتوبة في هذه الآيات كما أنه

سبحانه يحب التوابين ، كما في قوله تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**) (البقرة : ٢٢٢) .

وفي الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : " **لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويَّة [٤١] مهلكة ، مع راحلته ، عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت ، فطلبها حتى أدركه العطش ، ثم قال : أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، فاستيقظ وعنده راحلته ، عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته** " [٤٢] .

وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة**" [٤٣] .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة في كتب السنة المعتمدة .

٢- دور التوبة في إسقاط العقوبة :

تعدّ التوبة سبباً مباشراً لإسقاط العقوبة عن العصاة ، وقد دلَّ على ذلك القرآن الكريم والسنة وأقوال العلماء ، فأما القرآن فالآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**) (التحريم: ٨) ، وقوله تعالى : (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**) (الزمر: ٥٣ ، ٥٤).

وقد أكرم الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ (الفتح: ٢) ، حيث أخبرنا ﷺ أنه

يستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة ، فإذا كان هذا حال النبي ﷺ فكيف يكون حال غيره ؟!

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : **"التائبُ من الذنب كمن لا ذنب له"** [٤٤] .

وقد مر بنا قول ابن القيم : "لا ينجي من هذا إلا توبة عامة، مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم" [٤٥] .

ومن المعلوم أن شروط التوبة إذا اجتمعت كانت صحيحة ومقبولة عند الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾ (الشورى: ٢٥) .

وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : **"إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"** [٤٦] والأحاديث في هذا الباب كثيرة [٤٧]

أنواع التوبة :

يمكننا أن نقسم توبة الله تعالى على عبده إلى نوعين :

الأول : ما يوقعه الله تعالى في قلب عبده من التوجه إلى التوبة ، والإنابة إلى الله تعالى ، وتحقيق شروطها ، والتوفيق إلى العمل الصالح .

الثاني : توبته سبحانه على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها ؛ فإن التوبة النصوح تجبُّ ما قبلها [٤٨] .

المطلب الثاني : الاستغفار :

أولاً : التعريف بالاستغفار :

١ـ **التعريف اللغوي :** هو طلب المغفرة ، والمغفرة هي التغطية والعفو ، يقال : غفر الله له ذنبه يغفرُه غَفْراً وغِفْرةً حسنة ، ومغفرةً ، وغفوراً وغُفراناً ، بضمهما ، وغَفيراً وغفيرةً ، غطى عليه ، وعفا عنه ، واستغفره من ذنبه واستغفره إياه : طلب منه غفره [٤٩] .

٢ ـ **التعريف الاصطلاحي** :هو طلب المغفرة والعفو من الله تعالى من ذنب فعله الإنسان سواء علمه أو لم يعلمه ، فإن الله تعالى يعلمه [٥٠] .

وقيل : هو استقلال الصالحات والإقبال عليها ، واستكبار الفاسدات والإعراض عنها [٥١] .

ونقل ابن حجر عن السبكي قوله : "الاستغفار : طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما" [٥٢] .

وقد يرد الاستغفار بمعنى التوبة وذلك بحسب السياق [٥٣] .

وقال أهل الكلام : الاستغفار طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية والإعراض عنها [٥٤] .

ثانياً : دور الاستغفار في تكفير الذنوب :

يُعدّ الاستغفار سبباً من أسباب تكفير الذنوب وعفو الله تعالى ، ثم سقوط العقوبة عن المستغفر ، قال تعالى : **﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** (هود: ٣) ، وقال تعالى : **﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾** (النساء:١٠٦) ، وقال تعالى : **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾** (النصر:٣) ، وقال تعالى : **﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾** (آل عمران: ١٧) . وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يلتزم الاستغفار كثيراً رغم أنه المعصوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : **"والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"**[٥٥] .

ثم إن المداومة على الاستغفار تؤدي إلى المغفرة المستمرة والدائمة . عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

ﷺ : **"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل همٍّ فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب"** (٥٦) ، فالمداومة على الاستغفار تعود على المستغفر بالنفع والفائدة في الدنيا والآخرة ، حيث إن الاستغفار سبب نزول الرحمة والغيث والبركة في المال والبنين والخير الوفير الذي يعم الأرض ، قال تعالى : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً** ﴾ (نوح: ١٠-١٢) .

ومما يدل على أن الاستغفار يكفر الذنوب قول ابن مسعود رضي الله عنه : "لا يقول رجلٌ أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات إلا غفر له وإن كان فرَّ من الزحف" (٥٧) .

ويستفاد من الحديث أن الاستغفار هنا مقترن بالتوبة وهو الذي يحقق تكفير الذنوب صغيرها وكبيرها ، ولو كان الفرار من الزحف ، فالحسنات الماحيات لا تكفر إلا الصغائر كما سيأتي (٥٨) .

يقول القرطبي : "قال علماؤنا الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقدة الإصرار ويثبت معناه في الجنان ، لا التلفظ باللسان ، فأما من قال بلسانه : أستغفر الله ، وقلبه مصرٌّ على معصيته فاستغفاره يحتاج إلى استغفار" (٥٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **"إن عبداً أصاب ذنباً ، فقال : يا رب إني أذنبتُ ذنباً فاغفره ، فقال له ربه : عَلِم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له ، ثم مكثَ ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر ، وربما**

قال ، ثم أذنب ذنباً آخر ، فقال : يا رب إني أذنبتُ ذنباً آخر فاغفر لي . قال ربه : علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخُذ به، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً آخر ، وربما قال : ثم أذنب ذنباً آخر فقال : يا رب إني أذنبتُ ذنباً فاغفره لي، فقال ربه : علم عبدي أن له ربّاً يغفر الذنب ، ويأخذُ به ، فقال ربه : غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء" (٦٠) .

قال المنذري : "قوله : فليعمل ما شاء معناه – والله أعلم -: أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ، ولم يعد إليه بدليل قوله : ثم أصاب ذنباً آخر فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره ، لا أنه يذنب الذنب ، فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده ، فإن هذه توبة الكذابين" (٦١) .

والذي يؤدي إلى هذه النتيجة أي قوله في الحديث : "غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء" هو رجوع العبد وإنابته إلى خالقه جل وعلا ومعرفته بالله تعالى وأنه وحده غفار الذنوب ، وفي هذا إثباتٌ لأسماء الله الحسنى واعتراف من العبد بعظمة خالقه وجلاله سبحانه ، ومن المعلوم أن كلّ عبدٍ مضطر إلى عفو الله تعالى ومغفرته ،كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه.

وقد وعد الله تعالى بالمغفرة والعفو ، لمن أتي بأسبابها ، قال تعالى : **﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾** (طه: ٨٢) .

فمن جاء بأسباب العفو والمغفرة من : الاستغفار ، والتوبة، والإيمان ، والأعمال الصالحة فهو سبحانه يغفر له ذنوبه ويعفو عن سيئاته ، فإن الله تعالى يحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه : من السعي في مرضاته ، والإحسان إلى خلقه ، ومن كمال عفوه سبحانه أنه مهما أسرف

العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه صغيره وكبيره ، كما أنه جعل الإسلام يجبُّ ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها ، قال تعالى : **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** (الزمر:٥٣) ، وقال تعالى : **﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾** (النجم: ٣٢) .

وفي الحديث ، يقول رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يقول : **"يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"** (٦٢) .

كما أن المؤمن إذا أذنب ولم يستغفر الله من هذا الذنب فإن قلبه ينكتُ فيه نكتة من جراء هذا الذنب ، ويزداد كلما ازدادت الذنوب ولم يستغفر منها ، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ منها ، وإن زاد زادت حتى يُغلَّف بها قلبه فذلك الران الذي ذَكَر الله في كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (المطففين : ١٤)"** (٦٣) .

فعلى المسلم أن يبادرِ إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تعالى ليفوز بالمغفرة ورضى الله تعالى ، ويبقى قلبه صافياً نقيًّا.

المطلب الثالث : العمل الصالح (الحسنات تمحو السيئات) :

إن المسلم الواعي العاقل هو الذي يديم النظر إلى ذنوبه ومعاصيه ، ويتفكر في عظمة من عصاه ، كي تعظم في قلبه ، فيطلب لكل معصيةٍ منها حسنة تناسبها ، حتى يأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أو يزيد ليُنزِّه نفسه عن تلك المعاصي ، وليتذكر قول الله تعالى : **﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾** (هود: ١١٤) ، وفي الحديث الذي رواه أبو ذر ومعاذ بن جبل رضي الله

عنهما عن رسول الله ﷺ قال : **"اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخُلُقٍ حسن"** (٦٤) .

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : **"مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ بباب أحدكم يغتسل منه خمس مرات في اليوم ، هل يبقى من درنه شيء"** (٦٥) .

والملاحظ أن رسول الله ﷺ يؤكد على أن الأعمال الصالحة تمحو السيئات وتجرد الإنسان من ذنوبه ومعاصيه ، حتى إنه شبه الصلاة والالتزام بها بالاغتسال بالنهر الجاري على باب المسلم والذنوب بالأوساخ والأدران ، فالصلاة تنظف الإنسان من الذنوب كما ينظف كثرة الاغتسال الإنسان من الأدران .

وذهب بعض العلماء إلى أن بعض الكبائر تغفر ببعض العمل الصالح ، واشترطوا لذلك ألا توجب على مرتكبها حكماً في نفس ولا مال (٦٦) .

وخالف ذلك أكثر أهل العلم ، فقد ذهب القاضي عياض إلى أن مذهب أهل السنة على أن الأعمال الصالحة تكفر الذنوب ، ما لم تؤت الكبائر ، وأن الكبائر لا يكفرها سوى التوبة أو رحمة الله وفضله (٦٧) .

وذهب النووي إلى أنه إذا لم تكن صغائر فإنه يرجى التخفيف من الكبائر (٦٨) .

وقد ورد كثير من الأحاديث التي تؤكد دور الأعمال الصالحة في محو الذنوب ، ويمكن الاقتصار على بعض الشواهد من خلال النقاط الأربع الآتية :

أولاً : حسن الوضوء وتمام الصلاة :

بشر النبي ﷺ من أسبغ وضوءه ، وصلى ركعتين بتمامها وكمالها بقدر الجهد الممكن ، غفر الله ما تقدم من ذنبه . عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"من**

توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه" (٦٩) .

والحديث يبشر من فعل نحو وضوء النبي ﷺ ، وليس مثله إذ لا طاقة لأحد بذلك ، فإنه يفوز بالمغفرة ، والمراد بالغفران الصغائر دون الكبائر (٧٠) .

ثانياً : المحافظة على الصلاة وصيام رمضان :

أكدت الأحاديث النبوية أهمية الصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان في تكفير الذنوب الصغيرة . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : **"الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"** (٧١) .

ثالثاً : صوم يوم عرفة ويوم عاشوراء :

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله"** (٧٢) .

رابعاً : موافقة تأمين المأموم لتأمين الملائكة :

بيّن النبي ﷺ أن من وافق تأمينه تأمين الملائكة فإن ذلك سبب لمحو ذنوبه . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **"إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه"** (٧٣) .

قال الإمام النووي : "وقد يقال إذا كفر الوضوء فماذا تكفر الصلاة وإذا كفرت الصلاة فماذا تكفر الجمعات ورمضان وكذلك صوم يوم عرفة كفارة سنتين ويوم عاشوراء كفارة سنة وإذا وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ، والجواب ما أجابه العلماء أن كل واحد من هذه المذكورات صالح للتكفير فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره ، وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة

كتبت به حسنات ورفعت به درجات وإن صادفت كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف من الكبائر " (٧٤) .

إن المسلم إذا أراد أن تمحى سيئاته فعليه أن يبحث عن علاج لكل سيئة ، وكأنها مرض يلازمه ويريدُ أن يُشفى منه ، فيبحث عن الأمراض ويعالج نفسه بضدها ، فمثلاً : أن يُكفر سماع الغناء والفحش بسماع القرآن وحضور مجالس العلم ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال ... وهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى .

أما مظالم العباد ، ففيها أيضاً معصية لله تعالى ؛ لأنه تعالى ينهى عن ظلم العباد ، والظالم لهم قد اقترف ما نهى الله عنه ، فيتدارك ذلك بالاستغفار ، والندم والعزم على ترك ذلك في المستقبل ، والإتيان بالحسنات المضادة لتلك المظالم ، وأما إيذاء الناس فيجب أن يقابل بالإحسان إليهم ، ويكفر غصب الأموال بالتصدق بمال الحلال ، ويكفر تناول الأعراض بالثناء على أهل الدين والإيمان ، ويكفِّر قتل النفوس بالعتق ، هذا ما يتعلق بحق الله تعالى ، فإذا فعل ذلك ، لم يكفه حتى يُخرج مظالم العباد ، فعليه أن يعيد الحقوق إلى أصحابها ، وأن يطلب من ظلمه بعد أن يعيد إليه حقه ليستحله ، ثم يحسن إليه بما يستطيع ، وبعدها يعمل من الصالحات ما يقدر عليه (٧٥) .

المطلب الرابع : الصبر على الابتلاء والمصائب الدنيوية :

أولاً : أثره في رفع الدرجات :

الابتلاء سنة من سنن الحياة الدنيا ، فالإنسان مخلوق في هذه الدنيا وهو واقع تحت الابتلاء سواء بالخير أو الشر فذلك الامتحان الرباني لهذا المخلوق ، قال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٥) ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (البقرة:٢١٤) .

والمؤمن مطلوب منه الصبر عند البلاء ، خاصة عند وقوع المصيبة ، فيجب عليه تحمله ، وحبس النفس عن التسخط بالقلب أو اللسان أو الجوارح [٧٦] ، قال تعالى : **﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾**(البقرة: ١٥٥-١٥٧) ، فإن المؤمن الذي يصبر على المحن ويسترجع أجره كبير عند ربه ، فتحل رحمة الله ، وثناؤه عليه ، وشهادة له من ربه أنه من المهتدين ، وهذا بيان لدرجته ومنزلته عند ربه .

ومن المعلوم أن الإنسان معرض في حياته للابتلاء ووقوع المصائب ، سواء كانت عليه شخصيا أم على من يحب ، وليس أمام المؤمن إلا الصبر والاحتساب ؛ لأن الله تعالى قد ميزه على سائر البشر ، وبشره بالخير ، فقد قال رسول الله ﷺ : **"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"** [٧٧] .

ثانيا : أثره في تكفير الذنوب :

تفضل الله تعالى على المسلم بفضائل عظيمة وميزه بميزات جليلة منها : أن كل شيء يصيبه يثيبه عليه حتى الشوكة يثاب عليها ، لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه" [٧٨] ، فالمؤمن إذا آمن بالله تعالى وبقضائه وقدره ، أيقن أنه لا يجري في ملك الله تعالى إلا ما يريد وأن كل شيء يقع بإرادة الله تعالى حسب

تقديره، كان عليه الرضى والتسليم لله تعالى في كل ما قدر وقضى سواء كان خيرا أو غيره ، فقد روى الترمذي بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما : **"يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف"** (٧٩) .

فإذا علم المؤمن ذلك أوجب على نفسه الصبر عند وقوع أي بلاء عليه ، فإن الصبر على البلاء واجب على المؤمن ، لأنه يوجب له الثواب والمغفرة حتى يطهره من الذنوب ، كما يورث الشكر على النعم ، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان في راحة نفسية تامة لما يجري عليه من أقدار الله تعالى ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه ؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في أهله وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله عز وجل وما عليه من خطيئة"** (٨٠) .

وأفضل الصبر وأعلاه عند الصدمة الأولى ، فذلك عنوان الصبر الحقيقي ، كما قال النبي ﷺ للمرأة التي مر بها وهي تبكي عند قبر فقال لها : **"اتقي الله ، واصبري"** قالت : إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه ، فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : **"إنما الصبر عند الصدمة الأولى"** (٨١) .

فأهل السنة والجماعة يأمرون بالصبر عند البلاء ، وما من إنسان إلا يبتلى إما في نفسه وإما في أهله ، وإما في ماله ، وإما في صحبه ، وإما في وطنه ، وإما في المسلمين عموما ، ويكون

ذلك إما في الدين ، وإما في الدنيا ، والمصيبة في الدين أعظم بكثير من المصيبة في الدنيا .

وأهل السنة يأمرون بالصبر عند البلاء في الأمرين :

- **فأما الصبر على بلاء الدنيا** ؛ فأن يتحمل المصيبة كما سبق ، وله الأجر والمثوبة من عند الله تعالى .
- **وأما الصبر على بلاء الدين** ؛ فعليه أن يثبت على دينه ، ولا يتزعزع عنه ، ولا يكن كمن قال الله تعالى فيهم [٨٢] : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله** ﴾ (العنكبوت: ١٠) .

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف كثيرة ، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له ، فقد قال تعالى : ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا** ﴾ (السجدة: ٢٤)، وقال تعالى : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ (القصص: ٥٤) ، وقال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ (الزمر: ١٠) فما من عمل إلا وأجره بتقدير وحساب إلا الصبر ، كما وعد الصابرين بأنه معهم ، فقال تعالى : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ (الأنفال: ٤٦) وجمع لهم بين أمور لم يجمعها غيرهم ، فقال تعالى : ﴿ **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ (البقرة:١٥٧) .

وعن خباب بن الأرت قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة ، فشكونا إليه ، فقلنا : يا رسول الله ! ألا تدعو لنا تستنصره لنا ، فجلس ، محمرا لونه ، ثم قال : "**إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل ، فيحفر له في الأرض حفرة ، ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه !!**" [٨٣] .

- **المبحث الثاني: الأسباب المكفرة للذنوب في القبر (البرزخ)**

عقيدة أهل السنة والجماعة في مرحلة البرزخ أن الإنسان إما أن يكون في قبره منعما في روضة من رياض الجنة ، أو معذبا في حفرة من حفر النار ، وقد دلت الآيات والأحاديث الصحيحة على صحة هذا المعتقد ، قال تعالى في آل فرعون : **﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾** (غافر:٤٦) .

وهنا قد أشار إلى نوعين من العذاب :

الأول : النار يعرضون عليها غدوا وعشيا .

والثاني : ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .

وقد عطف الثاني على الأول ، والعطف يقتضي المغايرة ، فإذا كان الثاني يوم تقوم الساعة ، كان الأول الذي بعد الوفاة في البرزخ .

وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتيه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة"** . قال نبي الله ﷺ : **"فيراهما جميعا"** . قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون ، وأما المنافق والكافر ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين" [٨٤] .

والأحاديث التي تثبت فتنة القبر ونعيمه وعذابه كثيرة ، ويجب على المؤمن العلم أن عذاب القبر ونعيمه ينال كل إنسان حسب عمله سواء قبر هذا الإنسان أم لم يقبر ، وسواء أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادا تذروه الرياح ، أو غرق في البحر ، فإنه يصل إلى روحه وبدنه من العذاب أو النعيم ما يصل إلى المقبور ، دون السؤال عن الكيفية ؛ لأن ذلك من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله ولم يطلع الله تعالى أحدا على هذا الغيب(٨٥).

المطلب الأول : دعاء المؤمنين واستغفارهم للمسلم بعد وفاته :

من الأمور المكفرة للذنوب بعد وفاة المسلم دعاء المسلمين له بالمغفرة والرحمة ، وهذا لطف من الله تعالى حيث ينقطع عمل الإنسان حين وفاته ولا يبقى له إلا عمله الصالح الذي قدمه ، فالواجب على المؤمن أن يعلم أن الإنسان إذا مات انقطع عمله في هذه الدنيا ، إلا من ثلاث كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"** (٨٦).

علاقة دعاء المؤمنين واستغفارهم بتكفير الذنوب في مرحلة البرزخ :

إن التكليف يزول عن ابن آدم بوفاته ، ولا يبقى له إلا ما قدم من أعمال خالصة لله تعالى ، ويستفيد منها المسلم ، وتستمر الفائدة بعد وفاته مثل : الصدقة الجارية والعلم الذي ينتفع به المسلمون ، هذا إضافة إلى دعاء ولده الصالح ، فإنه إذا غرس في ولده الإيمان والالتزام والصلاح والتقوى ، فذلك غرس له ، فكلما عمل الولد عملا صالحا فإن أباه يثاب على ذلك بعد مماته لأنه يعد من أعماله التي قدمها وهي مستمرة ، والدعاء جزء من هذه الأعمال ، وليس هذا فحسب ، بل إن دعاء المسلمين لهذا الميت يصل إليه بفضل الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا من**

بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ (الحشر: ١٠) ، لذلك شرعت الصلاة على الميت والدعاء وما له من خلالها من المغفرة والرحمة والتخفيف عنه بإذن الله تعالى ، وأيضا من السنة الوقوف عند القبر بعد الدفن والسؤال للميت بالثبات والرحمة ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، وقال : **"استغفروا لأخيكم ، وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل"** (٨٧) .

فالدعاء للميت عند القبر بعد الدفن أمرٌ مستحب ؛ وذلك من أجل أن يلهم الله تعالى الميت الحجة ، فيثبته الله تعالى بالقول الثابت حين يسأله الملكان فيجيب بلسان طلق : ربي الله وديني الإسلام ، وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **"إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء"** (٨٨) .

وقد ورد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : " إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزورٌ ويُقسم لحمها، حتى أستأنس بكم ، وأعلم ماذا أراجع به رُسُلَ ربي" (٨٩) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **"ما من ميت يُصلي عليه أمةٌ من المسلمين يبلغون مائة ،كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"** (٩٠) .

والشفاعة هي طلب المغفرة للميت وهي في الأصل من الشفع، أي الزواج وهي ضم جاه إلى جاه لحصول المقصود (٩١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : **"ما من رجل مسلم يموتُ فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه"** (٩٢) .

وعن مرثد بن عبد الله اليزني قال : كان مالك بن هبيرة رضي الله عنه إذا صلى على الجنازة ، فتقالَّ الناس عليها ،

جزاهم عليها ثلاثة أجزاء ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : "**من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب**" [٩٣] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهذا دعاء له بعد الموت فلا يجوز أن يحمل المغفرة على المؤمن التقي الذي اجتنب الكبائر ، وكفرت عنه الصغائر وحده ، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين ، فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت" [٩٤] .

كما أن ثناء الناس على الميت خيرا يوجب له المغفرة ، فعن أنس رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرا ، فقال النبي ﷺ : **وجبت** ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا ، فقال النبي ﷺ : **وجبت** ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ فقال : "**هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض**" [٩٥] .

المطلب الثاني : أهوال القبر :

إن الإنسان إذا مات وأدخل القبر يتعرض لأهوال في قبره منها ضمة القبر ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ يوم استشهاد سعد ابن معاذ سيد الأنصار قوله : " **للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ** " [٩٦] ، والظاهر أن ضمة القبر فيها تكفير للذنوب والخطايا عن المسلم لأن الحديث يدل على أن كل مسلم معرض لضمة القبر حتى إن سعد بن معاذ الصحابي الجليل لم ينج منها رغم شهادة النبي ﷺ له .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : "توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرج بجنازتها وخرجنا معه فرأيناه كئيبا حزينا فلما دخل النبي ﷺ قبرها خرج ملتمع اللون وسألناه عن ذلك فقال : "أنها كانت امرأة مسقامة فذكرت شدة الموت وضمة القبر فدعوت الله أن يخفف عنها" [٩٧] .

ومن أهوال القبر الفتنة وهي الاختبار ، فإن الميت إذا دُفن فإنه يسأل في قبره ، وهذه من أعظم الفتن فإن الإنسان إذا نجا من هذا الامتحان فإنه يفوز فوزاً عظيماً .

روى البخاري بسنده عن قتادة ، عَن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : "**إن العبدَ إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن ، فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقول له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً**" (٩٨) .

وفي قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ (إبراهيم: ٢٧) تأكيد على فتنة القبر وإثبات لأحواله ، فإن الله تعالى يثبت الذين آمنوا في الفتنة ويؤمنهم شرها ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تؤكد أن الإنسان يفتتن في قبره ، فقد قال ﷺ : "**إنه قد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل (أو قريباً من) فتنة الدجَّال**" (٩٩) ، وما أعظمها من فتنة ! لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الإجابة عليه إلا على أساس متين من العقيدة والعمل الصالح ، ولم يثبت فيها إلا من يُثبِّته الله تعالى ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا" (١٠٠) .

ومن المعلوم أن المسلم ما يصاب بأذى في الدنيا فيصبر إلا أثابه الله تعالى على ذلك فإنه من الضروري أن ما يحصل للمسلم في قبره من ضمة أو فتنة ، فيثبته الله تعالى ويصبره على ذلك إلا غفر له وأثابه .

كما أن عذاب القبر بالنسبة للمسلم العاصي يخفف عنه جرمه وينقطع عنه بمشيئة الله تعالى ويؤكد ذلك ما ذكره ابن أبي العز الحنفي عند حديثه عن عذاب القبر هل يدوم أو ينقطع ؟

قال: "جوابه نوعان : منه ما هو دائم ... والنوع الثاني : أنه مدة ، ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه" (١٠١) .

والسؤال المطروح هنا هو : هل تشمل الفتنة جميع البشر؟

والجواب على ذلك فيه تفصيل :

أولا : إن الناس ثلاثة أقسام : مؤمنون ومنافقون ، وهذان القسمان يفتنون في قبورهم حسب الأحاديث الواردة ، **والثالث :** كفار خلص ، ففي فتنتهم خلاف ، وقد رجح ابن القيم – رحمه الله – أنهم يفتنون (١٠٢) ، والفتنة بالنسبة لهم لإقامة الحجة عليهم وليس من أجل التخفيف عنهم كما يحصل للمسلمين .

ثانيا : إن الأنبياء لا تشملهم الفتنة ولا يسألون ، وذلك لأن الأنبياء أفضل من الشهداء ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر ، وقال : **"كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة"** (١٠٣) كما أن الأنبياء يساءل عنهم ، فيقال للميت : من نبيك ؟ فهم مسئول عنهم ، فلا يسألون ، وهم أيضا داخلون في رحمة الله ومغفرته دون الحاجة إلى الفتنة .

ثالثا : الشهداء الذي قتلوا في سبيل الله ، لا يسألون ؛ لأن إيمانهم ظهر صدقه من خلال تضحياتهم وأعمالهم ، قال تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾ (التوبة: ١١١) . ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ المتقدم : **"كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة"** ، وقد غفر الله له من أول دفقة من دمه ، فهو ليس بحاجة إلى تخفيف العذاب لأنه مغفور له .

رابعاً : الصديقون لا يسألون أيضاً ؛ لأن مرتبة الصدّيق أعلى من مرتبة الشهداء ، فإذا كان الشهداء لا يسألون ، فالصديقون من باب أولى ، والصدّيق قد وصف بهذه الصفة تأكيداً لحاله ، فهو قد

عُلم صدقه ، فلا حاجة لاختباره وسؤاله ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون وذلك لعموم الأدلة ، والله أعلم .

خامساً : أما المرابطون فقد ورد أيضاً ما يدل على أنهم لا يُفتنون في القبر ، قال رسول الله ﷺ : **"رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه ، وإن مات ، جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمِن الفتَّان"** (١٠٤) .

وإذا كان قد ثبت رباطه وصدقه عند ربه فلا حاجة للفتنة في القبر ؛ لأن الله تعالى قد شمله بالرحمة والمغفرة قبل ذلك ، وسيجري عليه عمله بعد وفاته ، وكذلك رزقه .

سادساً : المجانين والصغار ، قال بعض العلماء : إن المجانين والصغار لا يسألون ؛ لأنهم غير مكلفين ؛ وإذا كانوا غير مكلفين، فإنه لا حساب عليهم ، حيث لا حساب إلا على المكلف ، وهم لا يعاقبون على المعاصي لأنهم غير مدركين لأفعالهم ، لذلك لا يفتنون ، فهم ليسوا بحاجة إلى التخفيف عنهم والمغفرة لهم قد سبقت حيث شملتهم رحمة الله تعالى في الدنيا برفع التكاليف عنهم وعدم جري القلم عليهم كما هو معلوم .

وقال بعض العلماء : إنهم يفتنون ، لدخولهم في العموم ؛ ولأنه إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة ، فإن حال الممات تخالف حال الحياة .

سابعاً : هل تُسأل الأمم السابقة ؟

ذهب بعض العلماء – وهو الصحيح – إلى أنهم يُسألون ؛ لأنه إذا كانت هذه الأمة – وهي أشرف الأمم – تُسأل ، فمن باب أولى سوف تُسأل الأمم الأخرى والله أعلم (١٠٥) ، يقول ابن القيم رحمه الله : "وكذلك إخباره عن قول الملكين ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ هو إخبار لأمته بما تمتحن في قبورها ، والظاهر – والله أعلم – أن كل نبي مع أمته كذلك ، وأنهم معذبون في قبورهم

حنبل ، وجمهور السلف إلى وصولها ، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها [١٠٩] .

قيل لأبي عبد الله (الإمام أحمد) : "الرجل يعمل الشيء من الخير من صلاة أو صدقة أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو لأمه؟ قال : أرجو أو قال : الميت يصل إليه كل شيء من صدقة أو غيرها، وقال أيضاً : اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد ، وقل اللهم ، إن فضله لأهل المقابر" [١١٠] .

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه ، الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح كما ذكر الطحاوي .

أما الكتاب ، فقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**)(الحشر: ١٠) ، فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين مثلهم ، كما أن المؤمنين ينتفعون بدعاء الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (غافر: ٧) ، فدلّ على انتفاع الأموات باستغفار الأحياء ، وقد دلّ على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة ، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة ، وكذا الدعاء له بعد الدفن وقد تقدم جزء منها .

وهذه بعض الأدلة على انتفاع الأموات من سعي الأحياء، وما يهدونه لهم :

أولاً : الصدقة : فقد ورد أن ثوابها يصل إلى الميت خاصة إذا كان الميت قبل موته قد همَّ بها ولم يفعلها ، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال للنبي ﷺ : "إن أمي افتُلتت نفسُها ، وأراها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها من أجر إن تصدَّقتُ عنها ؟ قال : نعم" [١١١] . والمراد هنا أن أمه ماتت فجأة، وأراد أن يتصدق عنها فبين له النبي ﷺ مشروعية الصدقة عن

بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة" (١٠٦) .

وعلى كل حال فإن العلماء – منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي – قد عدوا أهوال القبر من المكفرات ، فإن المسلم إذا قبر فإنه سوف يتعرض لأهوال القبر منها : ضمة القبر ، وسؤال الملكين ، وفيها العذاب الذي يعذبه بعض العصاة ، فإن ذلك يكون مكفرا لذنوب المسلم الموحد ، ومخففا عليه من عذاب يوم القيامة ، ومعلوم أن مآل المسلم إلى الجنة مهما طال به المقام في جهنم – إن كان قد دخلها – فإنه يدخل الجنة كل من قال لا إله إلا الله (١٠٧) .

المطلب الثالث : ما يهدى للمسلم بعد موته :

من الأمور التي تكفر عن المسلم سيئاته بعد مماته هدايا الأعمال الصالحة ، وقد تقدم الحديث عن الدعاء وأثره في المغفرة للميت ورفع درجاته عند الله تعالى ، وهناك بعض الأعمال الصالحة التي يصل ثوابها للميت ، أو تخفف عنه العذاب ، وهي ليست من عمله ؛ بل هدية من أحد معارفه يقدمها له بعد موته ، خاصة من أحد أبنائه ، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الأموات ينتفعون من الأعمال الصالحة التي يهديها لهم الأحياء بأمرين :

أحدهما : ما تسبب إليه الميت في حياته " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث " (١٠٨) .

والثاني : ما يهدى للميت من أعمال البر ، كالصدقة والحج ، على نزاع فيما يصل من ثواب الحج ، إذ يقول محمد بن الحسن الشيباني : أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة ، والحج للحاج ، وعند عامة العلماء : ثواب الحج للمحجوج عنه ، وهو الصحيح – كما يقول الطحاوي – واختلف في العبادات البدنية ، كالصلاة ، والصوم ، وقراءة القرآن ، والذكر ، فذهب أبو حنيفة ، وأحمد بن

أمّه الميتة وأنها تنتفع بذلك ، ولا ينافي هذا قول الله تعالى : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلا مَا سَعَى﴾ (النجم:٣٩) لأن الآية في الكفار والإنسان عام أريد به الخاص ، وقيل ليس له إلا ما سعى عدلاً وأما فضلاً ، فالله أعظم وأكرم يعفو عن السيئة ويضاعف الحسنة، ويثبت المؤمن بما يدعو له المؤمنون ، ويتصدق عنه الأقربون [١١٢] .

ثانياً : قضاء الدين عن الميت : من الواجب الإسراع بأداء الدين عن الميت من تركته – إن وجد – فإن لم يوجد دفعها ورثته ، فإن لم يوجد تصدق عليه أحد أقاربه أو معارفه ، أو أهداه ذلك المال ، فإن قضاء الدين مقدمٌ على كل الحقوق التي عليه ، كما أن نفس المؤمن سوف تظل محبوسة عن مقامها الكريم لا يحكم لها بنجاة ولا هلاك حتى يقضى دينها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **"نفس المؤمن معلقةٌ بدَيْنه حتى يُقْضَى عنه"** [١١٣] قال الإمام الطحاوي : "وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت ، ولو كان من أجنبي ، ومن غير تركته" [١١٤] .

ثالثاً : العمرة والحج : العمرة والحج من الأعمال الصالحة التي لو فعلها المسلم لأبيه أو أمه أو أخيه الذي توفي فإنها تسقط عنه ، ولمن فعلها الأجر العظيم عند الله تعالى ، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحجُّ عنها ؟ قال : **نعم ، حُجِّي عنها** ، أرأيت لو كان على أمك دينٌ ، **أكنتِ قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء"** [١١٥] .

قال الإمام الصنعاني : "الحديث دليل على أن الناذر بالحج إذا مات ولم يحج أجزأه أن يحج عنه ولده وقريبه ، ويجزئه عنه وإن لم يكن قد حج عن نفسه ، ودل على وجوب التحجيج عن الميت سواء أوصى أو لم يوص لأن الدين يجب قضاؤه مطلقاً ،

ولا يعارض ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (النجم:٣٩) ؛ لأن ذلك عام خصصه هذا الحديث ، أو لأن ذلك في حق الكافر ..." [١١٦] .

رابعا : الصوم : وصول ثواب الصومَ للميت وارد في السنة النبوية ؛ خاصة إن مات وعليه قضاء ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : **"من مات وعليه صيام صام عنه وليه"** [١١٧] .

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية ، يوضحه : أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية ، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية ؟! [١١٨] .

خامسا : قراءة القرآن : قراءة القرآن وإهداؤها للميت تطوعا بغير أجرة جائز ويصل إلى الميت – إن شاء الله – وأما استئجار قوم يقرأون القرآن ويهدونه للميت ، فهذا لم يفعله السلف ولا أقر به أحد من أئمة الدين ولا رخص فيه ، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف ، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله ، وهذا لم يقع عبادة خالصة ، فلا يكون ثوابه مما يهدى إلى الموتى . وقراءة القرآن تطوعا جائزة – كما ذكرت – فإن قيل : هذا لم يكن معروفا عند السلف ، ولم يدلهم النبي ﷺ عليه ؟

يقال : إن كان السائل ممن يعترف بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء ، قيل له : ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن ؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول ، ومن أين لنا هذا النفي العام ؟

فإن قيل : فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة ، دون القراءة ؟ قيل : هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك ، بل خرج ذلك منه ، مخرج الجواب لهم ، فهذا سأله عن الحج عن ميته ،

فأذن له فيه ، وهذا سأله عن الصوم عنه ، فأذن له فيه ، ولم يمنعهم مما سوى ذلك ، وأي فرقٍ بين وصول ثواب الصوم – الذي هو مجرد نيّة وإمساك – وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟ (١١٩) .

واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور ، على ثلاثة أقوال :

١- أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية قالوا : بكراهتها ؛ لأنه محدث ، لم ترد به السنة ، والقراءة تشبه الصلاة ، والصلاة عند القبور منهيٌّ عنها ، فكذلك القراءة .

٢- محمد بن الحسن والإمام أحمد في رواية لا بأس بها ، واستدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه أوصى أن يُقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها ، ونقل عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة .

٣- في رواية الإمام أحمد قوله : لا بأس بها وقت الدفن فقط ، وقد أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين ، أما بعد ذلك كالذين يتناولون القراءة عند القبر ، فهذا مكروه لم تأتِ به السنة ولم ينقل عن أحد من السلف ، وهو القول الراجح لما فيه من التوفيق بين الدليلين (١٢٠) .

سادساً : العفو عن الميت والمسامحة من أحد المسلمين الذين جار عليهم : قال تعالى : **﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾** (الشورى: ٤٠) ، وقال تعالى : **﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾** (البقرة: ٢٣٧) . وقال تعالى : **﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾** (التغابن: ١٤) فقد حثت الآيات على المغفرة والرحمة من المسلم لأخيه المسلم ، فإن العفو عند المقدرة من سمات المؤمن ، وما عند الله خيرٌ وأبقى ، ومعلومٌ أن التوبة إن كانت تتعلق بمعصية في حق آدمي فمن شروطها التبرؤ من حق صاحبها ،

فإن مات ولم يتبرأ منها بقيت في عنقه إلا أن يغفر له ويعفو عنه صاحب الحق ، فإن عفا عنه ، عفا الله تعالى عنه ورحمه ، وهو أرحم الراحمين .

• المبحث الثالث : الأسباب المكفرة للذنوب يوم القيامة :

المطلب الأول : أهوال يوم القيامة ، والوقوف بين يدي الله تعالى :

من الأمور المكفرة لذنوب عصاة الموحدين يوم القيامة ما يقع من أهوال وأحداث وشدائد وصفها القرآن الكريم ، وما يحصل في هذا اليوم من أحداث لا يستطيع المرء تصوره لدرجة أن المجتمع البشري يصاب بفزع شديد ورعب شامل ، يبلغ من شدته أن الأم تذهل عن رضيعها ، والحوامل يسقطن ما في بطونهن ، والناس يكادون يفقدون عقولهم الواعية ، كأنهم سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عظمة المشهد وشدة الأمر تجعلهم كذلك، قال تعالى : ﴿ **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ...** ﴾ (الحج : ٢) ويقول تعالى : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ما لها** ﴾ (الزلزلة : ١-٣) ، والآيات في وصف اليوم الآخر وما يقع فيه من أهوال وأحداث كثيرة جدا في القرآن الكريم.

كيف تكون أهوال يوم القيامة مكفرة للذنوب :

ذكر كل من شيخ الإسلام ابن تيمية وابن أبي العز الحنفي [١٢١] أن أهوال يوم القيامة من الأسباب المكفرة التي تزيل الذنوب عن المسلم الموحد وتجلب له رحمة الله تعالى ، ولعل ما دفعهما إلى ذلك ما ميز الله تعالى به المؤمن الموحد عن غيره من الناس في الدنيا ؛ إذ إن الله تعالى يثيبه على شكره عندما تصيبه نعمة ، وعلى صبره عندما يصيبه مكروه أو شدة كما في الحديث الصحيح الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : "**عجبا لأمر المؤمن إن**

أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمن" [١٢٢] .

وقد ورد في الحديث أن المؤمن يثاب على كل مكروه يصيبه ، حتى الشوكة يشاكها المؤمن يُثاب عليها [١٢٣] .

وهذا كله يجلب رحمة الله تعالى للمؤمن يوم القيامة ، فقد ورد في الحديث أن الله تعالى يدني العبد منه يوم القيامة "ويكلمه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ..." الحديث [١٢٤] ، فيرحمه الله بعمله الذي قدمه ، وما يكون ذلك إلا لأنه يستحق المغفرة فهو لم يشرك بالله تعالى وتحمّل المشاق في الدنيا وصبر عليها ، فكان لا بد من المغفرة له على ذلك ، وإذا كان الموحد قد استحق مغفرة الله على صبره وأعماله الصالحة التي فعلها في الدنيا ، ألا يستحق الرحمة والمغفرة على صبره على أهوال يوم القيامة ، التي لا بد أن يتميز بها عن سائر البشر؟! ورحمة الله تعالى في ذلك اليوم أعظم حيث ورد في الحديث أن الرحمة التي يتراحم بها الناس ويرحمهم الله بها في الدنيا هي جزء من مائة جزء ادخرها لهم يوم القيامة [١٢٥] .

ثم إن الناس يجتمعون يوم القيامة في أرض المحشر ، وتدنو الشمس منهم فتكون بمقدار ميل فوق رءوسهم ، ويصيبهم من حرّها الشديد ويصاب الناس بكرب عظيم ويكون كل واحد منهم على قدر أعماله في العرق ، فمنهم من يكون العرق إلى قدميه ، ومنهم من يغطي ساقيه ، ومنهم إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً [١٢٦] .

ومن شدة الموقف يذهب الناس إلى الأنبياء ابتداءً من آدم عليه السلام ومروراً بموسى وعيسى وانتهاءً بمحمد ﷺ يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله تعالى حتى يأتي ليحكم بين العباد ويريح الناس من شدة هذا الموقف [١٢٧] .

ولعل هذا ما يؤكد تميز المؤمن يوم القيامة عن غيره ، حتى لو بقي عليه بعض الذنوب والمعاصي ، فإنه لا يكون في العرق كغيره من الناس ، ويكفيه تكفيرا لما بقى عليه من ذنوب أن يعاني شدة الموقف وأهواله ، فيكون في عرقه إلى منتصف ساقه أو إلى حقويه أو غير ذلك حتى يأتي ربه سبحانه في نهاية المطاف وليس عليه ذنب فيكون مستحقا للمغفرة والعفو والرحمة.

ومن المعلوم أن الله تعالى يرسل بين يدي القيامة ريحا تقبض المؤمنين فلا تقوم القيامة إلا على شرار الناس كما في الحديث عن عباس بن أبي ربيعة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "تجيء ريح بين يدي الساعة تقبض فيها روح كل مؤمن" (١٢٨) .

وهذا يدل على أن الله تعالى يرسل هذه الريح اللينة رحمة بالمؤمنين حتى لا يفزعوا من أهوال بداية اليوم الآخر ، وهذا يؤكد أن كل ما يحصل في اليوم الآخر من أهوال وأحداث تكون من الشدة بحيث تكون عبارة عن بداية العقاب الرباني لكل من لم يثبت عبوديته لله تعالى في الدنيا – كما أراد الله تعالى – لذلك فإن الأتقياء يقبضهم الله تعالى قبل قيام الساعة عندما تهب الريح الخفيفة الطيبة لقبض أرواحهم ، ثم يلتقي الجميع في الحشر بعد البعث وهو سوق الناس جميعا إلى الموقف العظيم الذي ينتظر فيه الخلائق فصل القضاء بينهم ؛ إذ تقوم الملائكة بسوق الناس إلى الموقف وهم كما خلقهم الله أول مرة حفاة عراة غرلا ، قال تعالى : **﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ﴾** (مريم:٨٥-٨٦) ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، قلت : يا رسول الله ،**

ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " [(١٢٩)] .

وفي هذا الموقف يكون حال المؤمن أفضل من غيره ، وإن كان الأمر شديدا على الجميع ، فيكون هذا رحمة وتكفيرا للمؤمن الموحد وأما الكافر فليس له تكفير ، بل إن هناك فئات من الناس يستظلون في ظل عرش الله تعالى رحمة بهم ، فقد روى أبو هريرة وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : " **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "** [(١٣٠)] .

بعد ذلك يقوم النبي ﷺ فيشفع للناس عند الله عز وجل ، ويقبل الله شفاعته وهي الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ [(١٣١)] فيبدأ العرض والحساب وفصل القضاء بين الناس ، وتنشر الصحف ليجازى كل إنسان بما قدم بعد محاكمة عادلة يقف فيها بين يدي الله عز وجل إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

قال تعالى : ﴿ **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾ (النور:٢٥) والدين هو الجزاء ، يقال : كما تدين تدان ، وقال تعالى : ﴿ **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ (الكهف:٤٨) .

وما عليـه ، قال تعالى : ﴿ **ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** ﴾ (الأنعام:١٠٨) .

والناس في الحساب متفاوتون :

- فمنــهم مـن يحاسـب حسـابا يسيرا ، يعـرض عليـه عملـه فيطلعـه الله على سيئاته ، ولا يطلـع عليـها أحـد ، ثـم يعفـو الله عنه ، ويأمر به إلى الجنة .
- ومنهم من يناقش الحساب فيسأله الله تعالى عن كل صغيرة وكل جزئية ويطالبه بالحجة فلا يقبل منه عـذر ولا حجـة ، فيهلك مع الهالكين ، ويـأمر الله تعـالى مناديـا ينـادي عليـه بسيئاته ، فيفتضح بين الخلائق ، قـال تعـالى : ﴿ **وإن كـان مثقـال حبـة مـن خـردل أتينـا بـها وكفـى بنـا حاسـبين** ﴾ (الأنبياء:٤٧) .
- وهنـاك قـوم مـن أمـة الإسـلام يتفضـل الله تعـالى عليـهم فيدخلهـم الجنـة بغير حساب ولا عذاب ، فعن أبـي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب** " (١٣٥) .
- وهنـاك صنـفٌ مـن النــاس يصـل لدرجـة الإفـلاس مـن الحسنات مما تراكم عليـه مـن حقـوق الآخريـن ، وصنـف آخر يستفيد مـن هـذا الصنـف وهـم أصحـاب هـذه الحقـوق ممن يأخذ من حسناته أو يعطيه مـن سيئاته ثـم حقـه الـذي سلبه منه المفلس في الحياة الدنيا ، وفي هذا رفـع لدرجـات أصحاب الحقوق ودخولهم فـي رحمـة الله ومغفرتـه ، ففـي الحديـث الصحيـح يقـول رسـول الله ﷺ : "أتـدرون مـن المفلس ؟ قالوا : المفلـس فينـا مـن لا درهـم لـه ولا متـاع ، فقـال : إن المفلـس مـن يـأتي يـوم القيامـة بصـلاة وصيـام

وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى عنه ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار" [١٣٦] .

المطلب الثاني: جمع الناس بعد اجتيازهم الصراط حتى يهذبوا وينقوا (القنطرة):

الصراط هو جسر على جهنم ، يمر عليه جميع الناس ، وذلك بعد الحساب والميزان وانصراف الناس من الموقف ، فيمر على الصراط : الأنبياء والصديقون والمؤمنون والكافرون ، ويكون النبي محمد ﷺ أول من يجيز الصراط ، ولا يتكلم يومئذ إلا الأنبياء ، ويكون دعواهم : "اللهم سلم سلم" [١٣٧] .

ومن استقام في الدنيا على دين الله الحق ، والصراط المستقيم ، استقام على هذا الصراط في الآخرة ، ويكون مرور كل واحد بحسب أعماله ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم كالريح ، حيث تصل سرعة الريح أحيانا إلى مائة وأربعين ميلا في الساعة ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، وهي دون الفرس الجواد بكثير ، ومنهم من يعدو عدوا ؛ أي : يسرع ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ؛ أي : يمشي على مقعدته ، وكل منهم يريد العبور ، ومنهم من يؤخذ بسرعة ، وذلك بالكلاليب التي على الجسر تخطف الناس بأعمالهم وتلقيهم في جهنم ، وأما المقل في العمل الصالح فيمر تخر يد وتعلق يد ، وتخر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فيخلصون ، فإذا خلصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرانك ، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا ، وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحاح تؤكد على ما سبق [١٣٨] .

وقد ذكر العلماء أن المراد بالورود في قوله تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ (مريم: ٧١) أنه المرور على الصراط ، قال تعالى : ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ (مريم:٧٢) .

وفي الصحيح أنه ﷺ قال : "والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة ، قالت حفصة : فقلت : يا رسول الله ، أليس يقول : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ ؟ فقال : ألم تسمعيه قال : ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً** ﴾ [١٣٩] ، فيمر الجميع من فوق جهنم على الصراط فينجي الله تعالى المؤمنين ، ويذر الظالمين فيها جثيًا .

وبعد أن يجتاز المؤمنون الصراط ، يقف جميعهم على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض ، فإذا هُذّبوا أذن لهم في دخول الجنة ، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "**يخلص المؤمنون من النار فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**" [١٤٠] ، فيدخل المؤمنون الجنة وقد نُقُّوا وهُذّبوا من جميع الذنوب والخطايا ، وذلك بفضل الله تعالى ورحمته .

المطلب الثالث : الشفاعة :

من الأسباب المكفرة للذنوب يوم القيامة شفاعة الشافعين ، والشفاعة حقٌّ يجب الإيمان به ، **والشفاعة في اللغة** : من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله ، أو جعل الشيء شفعاً [١٤١] .

وفي الاصطلاح : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة ؛ لأنك إذا توسطت له ؛ صرت معه شفعاً تشفعه [١٤٢] .

والشفاعة قسمان : شفاعة باطلة ، وشفاعة صحيحة .

فالشفاعة الباطلة : ما يتعلق به المشركون في أصنامهم ، حيث يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ (يونس: ١٨) ، ويقولون : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ (الزمر: ٣) ، لكن هذه الشفاعة باطلة لا تنفع ، كما قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ (المدثر:٤٨) .

والشفاعة الصحيحة هي التي يجتمع لها ثلاثة شروط :

الأول : رضى الله تعالى عن الشافع .

الثاني : رضاه عن المشفوع له .(يخرج منها الشفاعة العظمى فهي عامة لجميع الناس سواء رضي عنهم أم لا) .

الثالث : إذنه سبحانه في الشفاعة ، والإذن لا يكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له [١٤٣] ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ (لنجم:٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا** ﴾ (طه:١٠٩) ، وقال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ (الأنبياء: ٢٨) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم تثبت الشفاعة وتتحدث عنها ، وهي ثابتة لرسولنا ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين ، **والشفاعة على أنواع** [١٤٤] :

النوع الأول : الشفاعة الأولى ، وهي العظمى ، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وهذه الشفاعة خاصة بأن يأتي الرب سبحانه لفصل القضاء بين الخلائق كما

ورد في حديث الصور ، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا في مقامهم في الحشر ، ومضمونه : أن الناس يأتون آدم ، ثم نوحا ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السلام ، ثم يأتون محمدا ﷺ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له "الفحص" ، فيقول الله تعالى : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، قال رسول الله ﷺ : فأقول : يا رب وعدتني الشفاعة ، فشفعني في خلقك ، فاقض بينهم ، فيقول سبحانه وتعالى : شفعتك ، أنا آتيكم فأقضي بينهم ، قال : فأرجع فأقف مع الناس (١٤٥) .

النوع الثاني : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ،فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

النوع الثالث : شفاعته ﷺ في أناس قد استحقوا النار ألا يدخلوها .

النوع الرابع : شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم .

النوع الخامس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ويشهد له حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (١٤٦) .

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ، كشفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب كما في الصحيحين .

النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة وهم على القنطرة بعد اجتياز الصراط وتهذيبهم ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **"أنا أول شفيع في الجنة"** (١٤٧) .

النوع الثامن : شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث (١٤٨) .

وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً ، كما أنها تتكرر منه ﷺ أربع مرات كما ورد في الحديث الصحيح ، فيخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج مرة أخرى من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان ، وثالثة يخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ، ثم يعود في الرابعة فيشفع لأمته ، فيخرج من قال : لا إله إلا الله [149] .

فهذه الشفاعات للموحدين لها أثر في تكفير ذنوبهم ، والمغفرة والعفو عنهم ودخولهم الجنة بإذن الله تعالى ، وفي الحديث أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ثم ذكر الحديث ، حتى إذا خلص المؤمنون من الناس فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ، ويصلون ويحجون . فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرّم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به" [150] ، والمراد أنهم من الموحدين والله أعلم .

المطلب الرابع : عفو الله ورحمته ومغفرته من غير سبب من العباد :

إن الله تعالى يخرج من عصاة الموحدين المؤمنين من شاء بغير شفاعة وذلك في نهاية المطاف ، وهذا بفضله ومنّه وكرمه ، فإن رحمته سبقت غضبه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾ (النساء: ٤٨ ، ١١٦) ، وقال ﷺ : "**خمس صلوات كتبهنَّ الله على العباد فمن جاء بهنَّ لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهنَّ كان له عند الله عهدٌ أن**

يُدخله الجنة ومن لم يأت بهنّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة" (١٥١) ، فإذا كان الأنبياء والصالحون والملائكة وغيرهم قد شفعوا ، فإن رحمة أرحم الراحمين قد حلّت ، فيخرج الله تعالى من النار أقواماً بدون شفاعة، ممن وجبت عليهم النار لعِظم جرمهم ، فتتدخل رحمة الباري سبحانه بعد خروج من خرج من النار بشفاعة الشافعين ، لتخرج من قدّر الله عليه الخروج منها ، حتى لا يبقى في النار إلا أهلها الذين كتب الله عليهم الخلود فيها (١٥٢) ، فقد روى الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ :

"أن الله تعالى يقول : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً ..." (١٥٣) .

فتكون رحمة الله تعالى شاملة لمن يستحقها في جميع المراحل وتحل رحمته تعالى ومغفرته على الإنسان في الدور الثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، والدار الآخرة ، وتكون رحمته أعظم في دار الآخرة حيث يختم بها لمن كتب عليهم الرحمة ، ويكون ختامها مسكا بفضله ومنّه سبحانه .

- **الخاتمة :**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد أن عشنا مع هذه الدراسة التي تناولت أسباب سقوط العقوبة عن عصاة الموحدين ، وما يتسبب بدخولهم جنات النعيم نخلص إلى النتائج التالية :

١- أن المعصية خلاف الطاعة وأن أصول المعاصي – كبارها وصغارها – هي : تعلق القلب بغير الله وهو الشرك ،وطاعة القوة الغضبية (الظلم) ،والقوة الشهوانية (الفواحش) ، والشبهة.

٢- أن المعاصي تنقسم من حيث متعلقها إلى قسمين : ما يتعلق بحقوق الآدميين ، وما يتعلق بالله تعالى وهي بين العبد وربه .
٣- أن المعاصي ذاتها تنقسم إلى صغائر وكبائر ، وأن أقرب الأقوال فيها وأصحها هو أن الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة وما سواها فهو من الكبائر .
٤- أن الإنسان المسلم مآله إلى الجنة مهما عذب في النار وأنه يدخل الجنة في نهاية المطاف إما بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين .
٥- أن المشرك إن مات على الشرك فإنه لن ينال المغفرة ولا الرحمة لأنهما للموحد فقط .
٦- أن الأسباب التي تؤدي إلى المغفرة بمجموعها أحد عشر سببا، **أربعة منها في الدنيا** وهي : التوبة – الاستغفار – الإكثار من الحسنات – الابتلاء والمصائب .

وثلاثة منها في البرزخ وهي :

- دعاء المؤمنين واستغفارهم له بعد موته .
- أهوال القبر .
- هدايا الأعمال الصالحة .

وأربعة مكفرة للذنوب يوم القيامة وهي :

- أهوال يوم القيامة والوقوف بين يدي الله تعالى .
- جمع الناس بعد اجتيازهم الصراط على القنطرة .
- شفاعة الشافعين .
- عفو أرحم الراحمين من غير سبب من العباد .

٧- دعاء المسلمين واستغفارهم للمسلم سواء كان بصلاتهم عليه صلاة الجنازة أو أعمالهم الصالحة التي يهبونها له ، فهي مكفرة وموجبة للمغفرة والرحمة وعلو الدرجة بفضل الله .
٨- صعوبة الموقف العظيم يوم القيامة وأهوال هذا اليوم تخفف عن الإنسان المسلم ذنوبه وتكفر عنه بعض سيئاته .
٩- أن الله تعالى يستر على المؤمن ذنوبه يوم الحساب وتخفف عنه وقفته بين يدي ربه .
١٠- الناس يهذبون وينقون من الأمراض والأدران التي فيهم وتخلص نفوسهم قبل دخولهم الجنة حتى يدخلوها وليس فيهم من أدران الدنيا وأمراضها شيء .
١١- أن الله تعالى برحمته جعل الناس يشفعون في بعضهم يوم القيامة ، وهذه إن دلت على شيء فإنما تدل على سعة رحمة الله تعالى وعظمته سبحانه ، فإنه يشفع الأنبياء ، والملائكة والمؤمنين الصالحين في عباده ، فيتجلى كرم الخالق جل وعلا .
١٢- أن الله تعالى واسع المغفرة والرحمة ، وأن رحمته سبحانه سبقت غضبه ، وأنه يغفر لأناس لم يعملوا خيرا قط بمنه وكرمه ويدخلهم الجنة ، ليتجلى العلم بأن الله تعالى لم يدخل أحدا الجنة بعمله ، وإنما برحمته سبحانه وكرمه .

الهوامش والمصادر والمراجع

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين – دار الكتب العلمية - بيروت – ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا – ٤ / ٢٧٩ رقم (٧٦٣٨) ، ونص الحديث : " من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ووجبت له الجنة " قال الذهبي في التلخيص : صحيح .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ٤٥١/٢ ، تحقيق الأرناؤوط والتركي ، ط١٤ ، ١٤١٨هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ابن تيمية ، ٤٨٧/٧ ، وما بعدها طبعة السعودية .

(٣) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ٦٣/١٥ ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى .

(٤) القاموس المحيط للفيروزأبادي ، ص ١٦٩٢ ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني ، ص ٣٣٧ ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون طبعة أو تاريخ .

(٦) التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ١٤٣/١ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٠٥هـ .

(٧) انظر : المرجع السابق .

(٨) كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية ، ص ١٢٢ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط٤ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

(٩) الكبائر للإمام محمد بن عثمان الذهبي ، ص ٧ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، بدون طبعة أو تاريخ .

(١٠) إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ١٩/٤ ، دار المعرفة ، بيروت .

(١١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ .

(١٢) رواه البخاري ١٠١٧/٣ ، حديث رقم (٢٦١٥) ، ٢٥١٥/٦ رقم (٦٤٦٥) ، الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ورواه مسلم ٩٢/١ ، حديث رقم (١٤٥) ، صحيح مسلم للإمام مسلم ابن حجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(١٣) شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ .

(١٤) الكبائر ، ص ٧ .

(١٥) رواه البخاري ٢٤٥٧/٦ ، حديث رقم (٦٢٩٨) ، واليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار .

(١٦) شرح العقيدة الطحاوية ٥٢٥/٢ .
(١٧) انظر : المصدر السابق ٤٤٢/٢ ، وشرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص ٤٤٣ ، شرح الشيخ محمد العثيمين ، دار ابن الجوزي ، القاهرة .
(١٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ٤٤٢/٢-٤٤٤ .
(١٩) المرجئة هم : قوم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وأخروا العمل عن مسمى الإيمان "التعريفات ٢٦٨/١ ، التوقيف على مهمات التعاريف ٦٤٩/١ ، محمد المناوي ، تحقيق : د. محمد الداية ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٠هـ" .
(٢٠) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٤٤٢/٢-٤٤٤ .
(٢١) انظر : البحث "المبحث الأول – المطلب الثالث" ص ١٠٩ .
(٢٢) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢، ١٣٩٢هـ .
(٢٣) تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ، تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي ، ص ٣٥٦ ، راجعه وحقق أحاديثه محمود الأستانبولي ومحمد عيد عباس ، دار ابن القيم ، الدمام ، السعودية .
(٢٤) رواه البخاري ٢٢٠١/٥ ، حديث رقم (٥٥٢٣) ، ومسلم ٥٤٠/١ ، حديث رقم (٧٨٢) .
(٢٥) رواه الترمذي ٤٦٥/٤ ، حديث رقم (٢١٦٥) ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، وأحمد في المسند ١٨/١ ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال الشيخين ، سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
(٢٦) رواه الترمذي ٦٥٨/٤ ، حديث رقم (٢٤٩٥) ، وأحمد في المسند ٣٨٣/١ ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .
(٢٧) رواه البخاري ٢٢٥٤/٥ ، حديث رقم (٥٧٢١) ، والمجاهرة : أن لا يبالي الإنسان بما صنع .
(٢٨) رواه مسلم ٧٠٤/٢ ، حديث رقم (١٠١٧) ، والنسائي ٧٥/٥ ، حديث رقم (٢٥٥٤) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

(٢٩) القاموس المحيط ، ص ٧٩ .
(٣٠) التعريفات ٩٥/١ .
(٣١) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، للدكتور مصطفى الخن وآخرون، ص ٣٢ ، مؤسسة الرسالة ط١ ، ١٤٠٤هـ .
(٣٢) شرح العقيدة الواسطية ، ص ١٤٩ .
(٣٣) انظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حافظ بن لحمد حكمي ، تحقيق عمر أبو عمر ٤٤/٣ ، دار ابن القيم ، الدمام ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
(٣٤) رواه ابن ماجة ١٤٢٠/٢ ، حديث رقم (٤٢٥٢) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت وأحمد في المسند ٣٧٦/١ ، قال شعيب الأرناؤوط : صحيح وهذا إسنادٌ حسن .
(٣٥) انظر : نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، ص ٣٢ ، وشرح العقيدة الواسطية ، ص ٣٠٥ .
(٣٦) رواه البخاري ١٦٩٧/٤ ، حديث رقم (٤٣٦٠) ، ومسلم ١٥٧/١ ، حديث رقم (١٥٧) .
٣٧)) انظر : تهذيب موعظة المؤمنين ، ص ٣٥٢ .
(٣٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢٧٢/١ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة عام ١٩٧٢م .
(٣٩) ليغان : قال أهل اللغة : الغين والغيم بمعنى واحد ، والمراد هنا : ما يتغشى القلب . قال القاضي : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل عدّ ذلك ذنباً واستغفر منه (انظر : القاموس المحيط ، ص ١٥٧٥) .
(٤٠) رواه مسلم ٢٠٧٥/٤ ، حديث رقم (٢٧٠٢) ، وأبو داود ٤٧٥/١ ، حديث رقم (١٥١٥) ، قال الشيخ الألباني : صحيح "سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت" .
(٤١) الأرض الدوية : الصحراء التي لا نبات فيها .
(٤٢) رواه مسلم ٢١٠٣/٤ ، حديث رقم (٢٧٤٤) .

(٤٣) رواه أحمد في المسند ٢٦٠/٤ ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناد صحيح على شرط مسلم .
(٤٤) رواه ابن ماجة ٥٩٤/١ حديث رقم (١٨٥١) ، ١٤١٩/٢ حديث رقم (٤٢٥٠) ، قال الشيخ الألباني : حسن .
(٤٥) مدارج السالكين ٢٧٢/١ .
(٤٦) رواه الترمذي ٥٤٧/٥ ، حديث رقم (٣٥٣٧) ، قال أبو عيسى : "هذا حديث حسن غريب" ، قال الشيخ الألباني : حسن .
(٤٧) انظر : تهذيب موعظة المؤمنين ، ص ٣٥٢ .
(٤٨) انظر : شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، لسعيد علي القحطاني ، ص ١٠٩-١١٠ ، ط٢ ، ١٤١١هـ ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض .
(٤٩) القاموس المحيط ، ص ٥٨٠ .
(٥٠) انظر : مدارج السالكين ٢٧٣/١ .
(٥١) التعريفات ١٤٣/١ .
(٥٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٧٢/١٣ ، طبعة المكتبة السلفية ، الرياض.
(٥٣) انظر : المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥٤) التعريفات ١٤٣/١ .
(٥٥) رواه البخاري ٢٢٢٤/٥ ، حديث رقم (٥٩٤٨) وقد تقدم .
(٥٦) رواه أبو داود ٤٧٥/١ ، حديث رقم (١٥١٨) .
(٥٧) رواه الطبراني ، المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي السلفي ١٠٣/٩ ، حديث رقم (٨٥٤١) ، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم الموصل ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م . وقال الهيثمي : رواه الطبراني موقوفاً ورجاله وثقوا ، انظر : مجمع الزوائد ، علي بن أبي بكر الهيثمي ٢١٠/١٠ ، بدون رقم طبعة ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ.
(٥٨) انظر : المطلب الثالث من هذا البحث ، ص ١٠٩.

(٥٩) تفسير القرطبي ، محمد بن أحمد القرطبي ٢١٠/٤ ، تحقيق أحمد البردوني ، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ .

(٦٠) رواه البخاري ٢٧٣٥/٦ ، حديث رقم (٧٠٦٨) بمعناه الحاكم في المستدرك ٢٧٠/٤ ، حديث رقم (٧٦٠٨) ، المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ .

(٦١) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ٩١/٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون طبعة أو تاريخ .

(٦٢) رواه الترمذي ٥٤٨/٥ ، حديث رقم (٣٥٤٠) ، قال أبو عيسى : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" ، وقال الشيخ الألباني : صحيح.

(٦٣) رواه ابن ماجة ١٤١٨/٢ ، حديث رقم (٤٢٤٤) ، قال الشيخ الألباني : حسن ، وأحمد في المسند ٩٧٢/٢ ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي .

(٦٤) رواه الترمذي ٣٥٥/٤ ، حديث رقم (١٩٨٧) ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وأحمد ١٥٣/٥ ، قال شعيب الأرناؤوط : حسن لغيره ، وهذا رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير ميمون بن أبي شبيب فقد روى له مسلم في المقدمة .

(٦٥) رواه مسلم ٤٦٢/١ ، حديث رقم (٦٦٧) ، والترمذي ١٥١/٥ ، حديث رقم (٢٨٦٨) ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح" .

(٦٦) فتح الباري ٩٨/١١ .

(٦٧) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٢/٣ .

(٦٨) انظر : المرجع السابق ٥١/٨ .

(٦٩) رواه البخاري في صحيحه ٧٢/١ ، حديث رقم (١٥٥) .

(٧٠) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٠٨/٣ .

(٧١) رواه مسلم في صحيحه ٢٠٩/١ ، حديث رقم (٣٤٤) ، وأحمد في المسند ٣٥٩/٢ ، وقال الأرناؤوط : صحيح ، وهذا إسنادٌ حسن رجاله رجال الشيخين .

(٧٢) رواه مسلم في صحيحه ٨١٨/٢ ، حديث رقم (١٩٧٦) .

(٧٣) رواه مسلم في صحيحه ٣٠٧/١ ، حديث رقم (٦١٨) .

(٧٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١١٣/٣ .
(٧٥) انظر في تفصيل هذا القول كتاب : تهذيب موعظة المؤمنين ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ .
(٧٦) قال الراغب الأصفهاني: "الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع" المفردات ، ص ٢٧٣ .
(٧٧) رواه مسلم ٢٢٩٥/٤ ، حديث رقم (٢٩٩٩) .
(٧٨) حديث "ما يصيب المسلم من نصب ..." رواه البخاري ، حديث رقم (٥٦٤١) و(٥٦٤٢) ، ومسلم ، حديث رقم (٢٥٧٣) .
(٧٩) رواه الترمذي ٦٦٧/٤ ، حديث رقم (٢٥١٦) وقال : حسن صحيح . قال الألباني : صحيح .
(٨٠) الفردوس بمأثور الخطاب ، أبو شجاع الديلمي الهمداني ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ١٠٢/٥ ، رقم الحديث (٧٦٠٠) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٦م .
(٨١) رواه البخاري ٤٣٠/١ ، حديث رقم (١٢٢٣) ، ومسلم ٦٣٧/٢ ، حديث رقم (٩٢٦) .
(٨٢) انظر : شرح العقيدة الواسطية ، ص ٥١٠ ، ٥١١ .
(٨٣) رواه البخاري ١٢٢٢/٣ ، حديث رقم (٣٤١٦) ، وأحمد في المسند ١٠٩/٥ ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .
(٨٤) رواه البخاري ٤٨٨/١ ، حديث رقم (١٢٧٣) ، ومسلم ٢٢٠٠/٤ ، حديث رقم (٢٨٧٠) .
(٨٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٥٧٩/٢-٥٨٠ .
(٨٦) رواه الترمذي ٦٦٠/٣ ، حديث رقم (١٣٧٦) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، قال الشيخ الألباني : صحيح .
(٨٧) رواه أبو داود ٢٢٤/٢ ، حديث رقم (٣٢٢١) ، قال الشيخ الألباني : صحيح ، والحاكم في المستدرك ٥٢٦/١ ، حديث رقم (١٣٧٢) ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الإسناد ولم يخرجاه .

(٨٨) رواه أبو داود ٢٢٨/٢ ، حديث رقم ٣١٩٩ ، قال الشيخ الألباني : حسن ، كما رواه ابن حبان في صحيحه ٣٤٥/٧ ، حديث رقم (٣٠٧٦) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده قوي .

(٨٩) رواه مسلم ١٢٢/١ ، حديث رقم (١٢١) .

(٩٠) رواه مسلم ٦٥٤/٢ ، حديث رقم (٩٤٧) .

(٩١) انظر : نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، ص ٧٠٣ .

(٩٢) رواه مسلم ٦٥٥/٢ ، حديث رقم (٩٤٨) ، وأحمد في المسند ١٥٢/٣ ، قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح ، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين .

(٩٣) رواه الترمذي ٣٤٧/٣ ، حديث رقم (١٠٢٨) ، وقال : حديث حسن . قال الشيخ الألباني : ضعيف مع اختلاف في اللفظ .

(٩٤) مجموع الفتاوى ٤٩٨/٧ .

(٩٥) رواه البخاري ٤٦٠/١ ، حديث رقم (١٣٠١) ، ومسلم ٦٥٥/٢ ، حديث رقم (٩٤٩) .

(٩٦) رواه ابن حبان في صحيحه ٣٧٩/٧ ، حديث رقم (٣١١٢) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٩٧) رواه الحاكم في المستدرك ٤٩/٤ ، حديث رقم (٦٨٤٥)وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٩٨) رواه البخاري ٤٤٨/١ ، حديث رقم (١٢٧٣) و(١٣٠٨) ، ومسلم ٢٢٠٠/٤ ، حديث رقم (٢٨٧٠) .

(٩٩) رواه البخاري ٤٤/١ ، حديث رقم (٨٦) .

(١٠٠) مجموع الفتاوى ٥٠٠/٧ .

(١٠١) شرح العقيدة الطحاوية ٥٨٢/٢ .

(١٠٢) كتاب الروح لابن قيم الجوزية ، ص ١٤٩ ، تحقيق د. السيد الجميلي ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(١٠٣) رواه النسائي ٩٩/٤ ، حديث رقم (٢٠٥٣) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

(١٠٤) رواه مسلم ١٥٢٠/٣ ، حديث رقم (١٩١٣) .

(١٠٥) انظر : شرح العقيدة الواسطية ، ص ٣٦١-٣٦٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٥٨١/٢ .
(١٠٦) كتاب الروح ، ص ١٤٩ .
(١٠٧) فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله" رواه البخاري ٢٤/١ ، حديث رقم (٤٤) ، ومسلم ١٧٧/١ ، حديث رقم (١٩١) .
(١٠٨) تقدم تخريجه وهو صحيح ، ص ٢٢ .
(١٠٩) انظر : كتاب الروح لابن القيم ، ص ١٩٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٦٦٤/٢ .
(١١٠) ذكره ابن القيم في كتاب الروح ، ص ١٩٠ .
(١١١) رواه البخاري / ١٠١٥ ، حديث رقم (١٤٥١) .
(١١٢) انظر : نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، ص ٧١٣ .
(١١٣) رواه الترمذي ٣٨٩/٣ ، حديث رقم (١٠٧٩) ، قال أبو عيسى : "هذا حديث حسن وهو أصح من الأول" وقال الألباني : "صحيح لغيره" .
(١١٤) شرح العقيدة الطحاوية ، ٦٦٨/٢ .
(١١٥) رواه البخاري ٦٥٦/٢ ، حديث رقم (١٧٥٤) ، ومسلم ٨٠٤/٢ ، حديث رقم (١١٤٨) .
(١١٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام ٣٧٥/٢-٣٧٦ ، صححه وخرج أحاديثه فواز زمزلي وإبراهيم الجمل دار الريان للتراث .
(١١٧) رواه البخاري ٦٩٠/٢ ، حديث رقم (١٨٥١) ، ومسلم ٨٠٣/٢ ، حديث رقم (١١٤٧) .
(١١٨) شرح العقيدة الطحاوية ٦٦٨/٢-٦٦٩ .
(١١٩) انظر : المصدر السابق ٦٧٣/٢-٦٧٤ .
(١٢٠) انظر : المصدر السابق ٦٧٥/٢-٦٧٦ .
(١٢١) انظر : مجموع الفتاوى ٥٠١/٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٤٥٥/٢ .
(١٢٢) تقدم تخريجه ص ١١٣ .
(١٢٣) تقدم تخريجه ص ١١٣ .

(١٢٤) رواه البخاري ٢٧٢٩/٦ حديث رقم (٧٠٧٤) ، ومسلم ٧٠٣/٢ حديث رقم (١٠١٦) .

(١٢٥) رواه البخاري ٢٣٧٤/٥ حديث رقم (٦١٠٤) ونص الحديث : "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ..." .

(١٢٦) رواه مسلم ٢١٩٦/٤ ، حديث رقم (٢٨٦٤) .

(١٢٧) وثبتت بالأحاديث الصحيحة ، وهي المقام المحمود الذي وعد الله تعالى نبيه ﷺ في قوله : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ (الإسراء : ٧٩) (انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ٥٤/٣) . .

(١٢٨) رواه الإمام أحمد والحاكم وقال : صحيح ، وقال الحاكم : "حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٢٩١٥) .

(١٢٩) رواه مسلم ٢٩١٤/٤ ، حديث رقم (٢٨٥٩) ، والترمذي ٦١٥/٤ ، حديث رقم (٢٤٢٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(١٣٠) رواه البخاري ٢٣٤/١ ، حديث رقم (٦٢٩) ، ومسلم ٧١٥/٢ ، حديث رقم (١٠٣١) .

(١٣١) حديث الشفاعة العظمى ، رواه البخاري حديث رقم (٧٥١٠) ، ومسلم رقم (١٩٣) ، (٣٢٦) .

(١٣٢) رواه البخاري ٢٣٩٥/٥ ، حديث رقم (٦١٧٤)، وقد تقدم بمعناه ص ١٢٩ .

(١٣٣) رواه البخاري ٢٣٩٥/٥ ، حديث رقم (٦١٧٢) .

(١٣٤) انظر : فتح الباري ٤٠١/١١ ، وشرح أصول العقيدة للمؤلف ، ص ١٩١ ، ط٤ ، دار المنارة ، غزة ، ٢٠٠٥م .

(١٣٥) رواه مسلم – ١ / ١٩٧ حديث رقم ٢١٦, ابن حبان في صحيحه – ١٦ / ٢٢٦ حديث رقم ٧٢٤٤, قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(١٣٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩٣/٦ حديث رقم (١١٢٨٤) ، وابن حبان في صحيحه ٢٥٩/١٠ رقم (٤٤١١) ، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(١٣٧) رواه البخاري ٢٧٧/١ رقم (٧٧٣) ، ومسلم ١٦٣/١ رقم (٢٩٩) .

(١٣٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن العز الحنفي ، ٦٠٥/٢ ، وشرح العقيدة الواسطية ص ٣٩٥، وقد أورد حديثا يشتمل على هذه المعاني ابن كثير في النهاية ٨٤/٢-٨٥، والطبراني في الكبير رقم: (٩٧٦٣) عن ابن مسعود مرفوعا وأوره الهيثمي في المجمع ٣٤٠/١٠-٣٤٣ وقال: رواه الطبراني من طرق ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة.

(١٣٩) رواه الإمام مسلم – ٤ / ١٩٤٢ حديث رقم ٢٤٩٦, وأحمد في المسند – ٦ / ٤٢٠ قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(١٤٠) رواه البخاري – ٥ / ٢٣٩٤ حديث رقم ٦١٧٠, وأحمد في المسند – ٣ / ٦٣, قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(١٤١) المفردات ، ص ٢٦٣ .

(١٤٢) شرح العقيدة الواسطية ، ص ٣٩٩ .

(١٤٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢٩٤/١ ، شرح العقيدة الواسطية ، ص ٣٩٩ .

(١٤٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ٢٨٢/١-٢٩٠ .

(١٤٥) ورد هذا المعنى في حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان رقم (٢٨٧) ، وأما حديث الصور فهو ضعيف ، وقد ذكره شارح الطحاوية ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(١٤٦) رواه مسلم – ١ / ١٩٧ حديث رقم ٢١٦, ابن حبان في صحيحه – ١٦ / ٢٢٦ حديث رفم ٧٢٤٤, قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

(١٤٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – ١ / ١٨٨ حديث رقم ١٩٦ ، وأحمد في مسنده ١٤٠/٣، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط

مسلم, رجاله ثقات رجال الشيخين غير المختار بن فلفل فمن رجال مسلم .

(١٤٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ١/٢٩٠ ، ومنها قوله ﷺ : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (حديث صحيح بشواهده) رواه أبو داود – ٤ ٦٤٩ حديث رقم ٤٧٣٩ ، قال الشيخ الألباني : صحيح, والترمذي - ٤ / ٦٢٥ حديث رقم ٢٤٣٥, قال أبو عيسى : " هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه "، قال الشيخ الألباني : صحيح .

(١٤٩) رواه البخاري – ٢٧٢٧ حديث رقم ٧٠٧٢, وأحمد في المسند – ٣ / ٣٢٥, قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير فمن رجال مسلم .

(١٥٠) رواه البخاري في صحيحه ، حديث رقم (٦٨٨٦) ، ومسلم ، حديث رقم (٢٦٩) .

(١٥١) رواه أبو داود ، حديث رقم (١٤٢٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ، رقم (٣٢٤٣) .

(١٥٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ٢/٤٥٥ .

(١٥٣) رواه مسلم – ١/ ١٦٧ حديث رقم ١٨٣ .